أَدْعِيَّةُ النَّاسِكِ

وَشَمَائِلُ الحَاجِّ والسَّالِكِ

تـألـيـف

أبي يزن حمزة بن فايع الفتحي

الطبعة الأولى

1428هـ - 2007م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله حمدا مفضل مكة في البلاد، ومكرم الحجيج في العباد، اختصهم برحمته، وزادهم من نعمته، ووسعهم بمشيئته، وصلى الله وسلم على سيد الناسكين وخير الطائفين من حج ولبى وقام الله وصلى، وعلى آله وصحبه ما ضاء وتجلى، وغرد بلبل وتغنى.

أما بعد:

فقد قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ «البقرة».

فهذه الآية الكريمة أصل كبير في أدب الحاج، وقد حوت آدابا جليلة، ووصايا عظيمة، جدير بكل مسلم ناسك تأملها والانتفاع بأثرها وتأثرها.

ولما كان هم الحجيج السؤال عن فقه الحج وأحكامه وسمت همةُ أهل العلم إلى ذلك تدريسا وتأليفًا وتوجيها، رأيت أن أذكر

أخواتي النساك بأمر عظيم وشيء متين، لا تقل أهميته شأنا عن فقه الحج، بل إنه يسهم بقوة في إنجاح الحجة، وإصابتها السنة، ألا وهو «**أدب الحاج**» الذي قل التنبيه عنه وتغافل الحجاج عن معانيه، وقد طمعت النفس في تسجيل منظومة لطيفة للحاج، يدرك من خلالها أهم الآداب وأحسن الأخلاق التي يتحلاها ويتمناها أثناء أدائه هذه العبادة العظيمة، ثم بدا أن أعلق عليها كلمات، وأُجليها بإشـارات تجليها وتوضحها، بلا إطناب ولا إكلال بحيث يسـهل للحـاج تأملها وقراءتها في أي وقت وعلى أية حال.

والله نسأل أن يرزقنا حسن القصد، وصحة العمل، وأن يوفق إخواننا الحجاج وأن يسهل عليهم أداء المناسك على أحسن وجـه وأتمه، وفق السنن الصحيحة والطرائق المليحة، آمين.

نص المنظومة

تجــــــرَّدنْ لله بــــــالإخلاصِ
واسعَ إلى الغفُرانِ والخلاصِ
مُـــزَوَّدًا بـــالتقوى والرجـــاءِ
والـــزاد والمتـــاع والحيـــاءِ
متجهًـــا بأطيـــب الأمـــوالِ
وأحســن الآداب والخصــالِ
مســـارعًا للخــير والفضــائل
ملبيًــا مــن غــير مــا تثاقــلِ
مكـــــبرًا لله باســــــتيقان
وهـــاجرًا مســـاوئَ اللســـانِ
مبتغـــيَ الثـــواب والنـــوال
وتــاركَ الفســوق والجــدالِ
وحـــاملاً الخُلْـــق والخشـــوعا

والفضل والسكونَ والخضوعا

وآخـــذًا مناســـكَ الرســـولِ

وجامعًــا محاَســن الفضُــولِ

مقتفيًــا مـــن غـــير مـــا إيغـــال

وعــاملاً مــن غـير مـا إقـلالِ

تلـــينُ للإخـــوانِ والأصـــحابِ

وناسكًا من غير ما اصطخابِ

وصـــابرًا في غَمـــر ة الزحـــامِ

وراميًــا مـــن غـــير مـــا إيـــلامِ

فإنمـــا الطـــواف والجمـــارُ

لكـــي يُقـــام الـــذكر والجـــوآرُ

معظمًـــــا لله بالتوحيـــــــدِ

وطـــارح الشـــريك والنديـــدِ

منكســـرًا في جَمْـــع أو عرفـــاتِ

وتائبًـــا بالصـــدق والعبَـــراتِ

غـــيرَ مضـــيِّع لـــذا الزمـــانِ
وقارئًـــا للعلـــم والقـــرآنِ
تـــأمر بـــالمعروف والمحاســـنِ
ونـــاكرًا للســـوء والمحـــازنِ
ومرشـــدًا للضـــال والجهـــالِ
وناصـحًا مـن غـير مـا إمـلالِ
وتطعـــم الفقـــير والمســـكينا
وتـــرحم المســـن والمهينـــا
تســـير في تواضـــع كـــبير
ولـــيس في تـــبختر مـــثيرِ
مُـــذّللا لله في المناســـك
ولـيس كالشـريك والمُعـاركِ
تقـــول مـــا يقولـــه الأمـــينُ
مـا جـلَّ أو دقَّ ومـا يُـبينُ
مجتنبًـــا أذيـــة الأنـــامِ

بالــدفع والفحــش وبالمنــام
وجعــلَ ذا الطريــق لافــتراشِ
أو حاجـة أو مجلـس انتعـاشِ
وغض ذي العينين في الطريق
ولا تكــن كجالــب الحريــق
مـن جــاء للتمحيص والمبرور
فعـــاد بــــالأوزار والشـــرورِ
نعـــوذ بـــالله مـــن الضـــياع
للحـــال والجهــد وللمتـــاعِ
وإن تبـــع فحـــاذر الحرامَـــا
والغـش والتـدليس والإيهامـا
تُطيـــع للأمـــير والجليـــل
وســـائلا للعـــالم النبيـــلِ
معتنيًـــا بصـــحة الأجســـامِ
في عـــالم يمـــوج بالأنـــامِ

ومشـــهد الإحـــرام والعرفـــاتِ

مـــذكرٌ بـــالموت والعرصَـــاتِ

فهــــــذه الآداب للحجـــــــيجِ

فخـــذها بالتأمـــل البهـــيجِ

وحيــث قــد عرفــتَ فالاســراعُ

والجـــد والـــبلاغ والإقنـــاعُ

شرح المنظومة

تجّـــــردنْ لله بـــــالإخلاصِ

واسعَ إلى الغفران والخلاصِ

استهل الناظم قصيدته بأدب عظيم، وأصل كبير يستحضره المسلم العابد عند كل عبادة يطرقها، وكل قربة يقصدها وهو «**الإخلاص**» معيار قبول الأعمال، ومحل تصحيح الحركات والأفعال.

قال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ «الزمر»، وقال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ «البينة/5».

والإخلاص معناه: أن يبتغي العبد بعمله وجه الله لا رياء ولا سمعة.

وقال بعضهم: هو إفراد الله بالقصد في الطاعة.

وقيل: هو تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين، وإعجاب الفاعل بنفسه.

والوسائل المعينة عليه: استشعار ضعف العباد، وأ م لن يغنوا عنك من الله شيئًا، وا اهدة والإلحاح على الله بالدعاء لبلوغه، والإكثار من عبادة السر كقيام الليل، واستحضار الإخلاص عند كل عبادة، وعدم تزكية النفس.

ثم **قال الناظم:**

*** واسعَ إلى الغفران والخلاص ***

لأن الحج من مظان المغفرة ومواسم الرحمة؛ قال ﷺ: «**من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه**» أخرجاه. وقال ﷺ: «**والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**». وقال ﷺ: «**تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الذنوب والفقر، كما ينفي الكير خبث الحديد**».

فهو محل عفو الله عن عباده، وخلاصهم من الذنوب والمعاصي.

وفي عشية عرفة يندب الدعاء والتوبة والانكسار؛ لأ ا ساعات العتق من النار وفضل الله فيها واسع كبير.

مزودًا بالتقوى والرجاء   والمال والمتاع والحياء

هذا هو الأدب الثاني وهو: التزود بالتقوى والتحلي ا، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾.

والتزود له صور:

- التزود بالمال وهو عصب الحياة، به يعف نفسـه ويحفـظ مروءته ويحسن إلى إخوانه، ويطعم الفقراء.

- والتزود بالمتاع من لباس ومفـرش ونظائرهمـا، والتـزود بالطعام لاسيما الأماكن التي قل فيها الطعام ويحصل فيها الجوع، أو أماكن لا يبدو فيهـا إلا رديء الأطعمـة المعروضـة، والتـزود بالأصحاب الذين يرشدونك ويؤنسونك ويسـهلون عليـك أداء الفريضة.

- والتزود بالعلم من القراءة والتفقه واستصـحاب الكتـب النافعة المفيدة.

وعطف الرجاء على التقوى، قصد به الناظم عظـم رجـاء الناسك وابتغائه ما عند الله من الرحمـات السـابغات والهبـات الوافرات، التي تمحو كل خطيئة عظمت وتزيل كل سيئة كبرت.

وفي أمره بالتزود (بالحياء) يقصد: التحلي به لزجره النفس عن السؤال حتى ولو قلت النفقة، فلا يمتهن المرءُ نفسه، ولا يريق مـاء

وجهه. وفي الحديث: «**والحياء شعبة من الإيمان**»، وقال ﷺ: «**لا يأتي إلا بخير**».

فمتى ما استحيا الحاج، هيأ الله لـه رزقـه، دون تطلـع أو استشراف نفس.

متجهًا بأطيب الأموال وأحسن الآداب والخصال

متجها بأطيب الأموال وأحسن الآداب والخصال هـذا هـو الأدب الثالث أن يكون المال من سبيل حلال والنفقة المسافر ـا طيبة ليس فيها رياء ولا شبهة، ولا سحت ولا غش، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا؛ وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ «المائـدة». والتقوى حاصلة بالكسب الحلال وليس الحرام ا موع من مشاريع ربوية أو فوائد بنكية أو سرقات تجارية.

وقد أفتى جماعة من أهل العلم بوجوب إعادة الحجة لمن حج بمال فاسد ونفقة محرمة.

ثم أشار الناظم أن الحاج يتجه للبلد الحرام بأطيب النفقـات وأحسن الآداب والخصال، فذلك ا مع الكبير والمـؤتمر الواسـع موطن لبروز الأخلاق، وكشف معادن النفوس وشمائـل الأرواح،

وذا هو الأدب الرابع: أن يحرص الناسك أن يقدم صورة أخلاقيـة راقية للنفس المسلمة.

مسارعًا للخير والفضائلِ ملبيًا من غير ما تثاقلِ

في هذا البيت أدبان:

الأول: المسارعة للخيرات والفضائل؛ ليحرص الحاج الكـريم أن يكون في حجته مسارعا للخير، باحثًا عن الفضـائل، يطلـب الكمال ويقفو السنن: ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ «البقرة»، وقال تعـالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾ «آل عمـران/133»، وقال: ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ «المطففين».

والثاني: * **ملبيًا من غير ما تثاقل** *

الجد في التلبية، وهي شعار الحج، وعنوان التوحيـد وسـبيل الاستجابة والانصياع لأمر الله تعالى، ولا يطيب الحج إلا ا، وتبدأ من حين عقْد الإحرام وفى سائر البقاع والمشاعر، يلبي الحاج كما كان يفعل رسول الله ﷺ، لم يدعها إلا حين رمى جمـرة العقبـة، ومن ثَم شرع في التكبير المعروف.

وينبغي أن يتسم الحاج في التلبية بما يلي:

- المواظبة عليها، وقد أوجبه بعضهم وآخرون قال بركنيتها.

- يرفع صوته ا.
- يستغرق ا وقته وطريقه وأحواله.
- يستشعر ا تعظيم الله بلا تكاسل ولا تثاقل؛ لأ ـا مـن أعظم الذكر آنذاك.

مكبرًا الله باستيقان وهاجرًا مساوئ اللسان

هنا أيضا أدبان السابع والثامن؛ فالسـابع: كثـرة التكـبير واستشعار ذلك بالقلب تمجيدا أو تعظيما لله تعالى.

والتكبير يبدأ من أول عشر ذي الحجة وفعله رسـول الله ﷺ عند الإحرام كما يبين على ذلك الحافظ في الفتح، وأهمله كثير من الفقهاء. ويكبر في الطواف عند كل شوط وعلى الصفا والمروة وفي المشاعر ودفعه منها وهو في أيام العشر مطلق ومقيد: المطلق يبـدأ من أول العشر، والمقيد يبتدئ من صلاة الظهر يوم العيد إلى آخـر أيام التشريق.

ثم قال وهو الأدب الثامن:

*** وهاجرًا ومساوئ اللسان ***

يوضح هذا أهمية حفظ اللسان، وشد زمامه وحفظ انطلاقـه بالذكر والتلاوة، فإن لم يكن فالصمت زين وخير له.

ويجب كفه عن مساوئ اللسان وجرائره المتمثلة في عظـائم تغير صلاح المسلم، وتذهب خيره كالكـذب والـزور والغِيبـة والنميمة واللغو والسباب والشتائم ونحو ذلك مما لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي فجائعه، وفيه قال ﷺ لما علم معاذًا أبواب الخـير: «**أولا أدلك على ملاك ذلك كله كُف عليك هذا**». وأشار إلى لسانه.

مبتغى الثواب والنوالِ وتارك الفسوق والجدالِ

وهنا أدبان أيضا:

الأول: أن يستشعر بحجته قصد ثواب، ولا يقصد المفـاخرة والوجاهة أو كثرة ثناء الناس على عدد الحجات، وتتابع الزيارات، بل يستحضر الثواب العظيم «**رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمـه**» وما شاكله من الأخبار الباعثة على تحريك العزيمة وشحذ الـنفس إلى البقاع المباركة.

والأدب الثاني: * **وتارك الفسوق والجدال** *

وهو ما أبانه الله بقوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ «البقرة».

والرفث: هو الجماع وكذلك دواعيه من المباشرة والتقبيل.

وأيضا يحرم التكلم به بحضرة النساء وفي غيـا ن، خـلاف المنقول عن ابن عباس، وإنما الرفث ما يقال عند النساء بل الصواب اجتنابه كله

والفسوق قيل: هو المعاصي، وقيل: هو السباب، وقيل: التنابز بالألقاب. والأول أعم وهو أحسن.

والجدال: هو أن تماري أخاك حتى تغضبه وكل جدال يفضي للتقاطع والخصومات. أما الجدال في العلم والمسائل علـى وجـه التناصح والفهم فليس من ذلك.

وهذه الثلاثة الآثام في الحج حريةٌ أن تذهب حلاوتـه، وأن تمحق ثوابه، أو تنقصه على كل حال، وقد قال بعض العلمـاء: إن الحج المبرور هو الذي لا يخالطه إثم، والرافث آثم، والفاسق مرتكب معصية خرجت به عن الاستقامة، وا ادل يخشى عليه أن يجـره جدالُه إلى آفة محرمة من سب أو لعن أو شتيمة أو تقاطع.

وحاملا الخُلقَ والخشوعا والفضلَ والسكون والخضوعا

هنا جملة من الآداب المهمة والخصال الحسنة، ينبغي ألا يغفل عنها الناسك الكريم:

- منها التحلي بحسن الخلق، وهو كما قال ابن المبارك: «بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى».

- ثم التحلي بالخشوع، وهو السكون والطمأنينة بحيث يؤدى الحاج المناسك بكل خشوع وطمأنينة، ويحمل أيضا الفضل وهو الإكرام بماله وخلقه وشمائله.

- ويتحلى بالسكون في حركته ومشيه وأدائه للمشاعر بلا عجلة أو مزاحمة أو ركض.

- ويتحلى أيضا بالخضوع في كل نسك يؤديه؛ ليخضع وينكسر لله بلا تعالٍ ولا تجبر.

وهذا البيت احتمل خمسة آداب ينبغي تحلي الحاج بها، تضاف لما سبق فتبلغ خمسة عشر أدبا.

وآخذا مناسك الرسولِ وجامعًا محاسن الفضولِ

هذا هو الأدب السادس عشر؛ وهو: تأدية المناسك حسب الهدي النبوي. والأصل في ذلك: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ «الأحزاب/21»، وقوله ﷺ: «**خذوا عني مناسككم**».

فخذ مناسك الحج من رسول الله المعلـم الأول والرسـول الملهم، ودعك من آراء الشيوخ أو اجتهادات الفقهاء المنافية للسنة والأخبار.

ثم عرج على أدب آخر:

*** وجامعًا محاسن الفضول ***

أي: متلمسا محاسن أفاضل الناس وأخلاقهـم وعـادا م في المناسك، وهل هذا يصلح أن يكون أدبا؟! محل نظر؛ لأن الأصـل التأدب بالآثار، لكن قد يقال: محاسن شمائل الأقدمين لا بأس ـا هنا، والله أعلم.

ومن المحاسن: فتح بعض الفضلاء مخيما م للفقراء المسـاكين إطعاما وإيواء ومبيتا، كما كان يصنع الشيخ عبد العزيز بـن بـاز رحمه الله تعالى وبعض العلماء، وتسـبيل بعـض التجـار الميـاه والمشروباتِ والأطعمةَ على صورة شاحنات تجوب المناسك. وقـد كان ابن جدعان في الجاهلية يتولى إطعـام الحجـيج بشـيء لا يوصف؛ وفيه قال الشاعر:

لـــه داع بمكـــة مشـــمعل

وآخـــر فـــوق دارتهـــا ينـــادى

إلى قطـع مــن الشــيزى عليهــا

لبـــاب الـــبر يلبـــك بالشـــهاد

وفي الإسلام كان ابن المبارك يخرج الحجاج من مــرو علــى نفقته ويكرمهم إكراما سخيا لا نظير له، والقصة مشهورة كما في كتب السير وأنه إذا جاء وقت الحج اجتمع إليه إخوانه من أهــل مرو فيقولون: نصيحتك؟ فيقول: هاتوا نفقــاتكم. فيجعلــها في صندوق ويقفل عليها، يكتري -أي: يستأجر لهم-، ويخرجهم من مرو إلى بغداد بأحسن زى وأكمل مروءة، حتى يصلوا إلى المدينــة فيقول لهم لكل واحد: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينــة من طرفها؟ فيقول: كذا كذا. فيشتري لهم. ثم يخرجهم إلى مكــة فإذا قضوا حجهم قال لكل واحد: ما أمرك أهلك أن تشتري لهــم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا. فيشتري لهم. ثم يخرجهم مــن مكة فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصــيروا إلى مــرو، فيجصــص بيو م، فإذا كان بعد بثلاثة أيام عمل لهم وليمة وأرسل إليهم، فإذا أكلوا وسروا دعا بالصندوق، ففتحه ودفع إلى كل رجــل منــهم صرته عليها اسمه. وهم مسرورون متهلون من كرمه رسخائه، رحمه الله.

ونقل عن الثورى أنه كان في الحج أمارا بالمعروف ونهاءًا عن المعروف.

وكان سفيان بن عيينة إذا حج دعا ألا يكون آخر العهد به، فلما كان آخر سنة لم يدع؛ قال: استحييت مـن ربي ﷻ. وقـد شهد ثمانين موقفًا.

واجتمع بكر بن عبد الله المزنى ومطرف بـن عبـد الله بـن الشخير في عرفات، فقال أحدهما: اللهم لا ترد هذا الجمع. وقـال الآخر: لولا أني فيهم لقلت: إن الله غفر لهم.

ومن المحاسن في **عصرنا:** كثرة الدروس والكلمات في أغلب المخيمات وانتظامها، ولقاء أهل العلم بعضهم ببعض، وعقد ا الس والندوات للإفادة والتشاور والتلاقي العلمي والفكري.

ومنها: توزيع وزارة الحج وإدارة الدعوة كتيبات ومنشورات علمية نافعة بأعداد كبيرة، وجري بعض العلماء والمحسـنين علـى ذلك. وهي تسهم في نوع من توعية الحاج فقهيا وأدبيا وحضاريا، نسأل الله أن تتضاعف الجهود أضعافًا مضاعفة في إزالة تخلف الأمة وتبعثرها حضاريا في أيام يجتمعون فيها في هذه الفريضة المباركة.

مقتفيا من غير ما إيغال وعاملاً من غير ما إقلالِ

هنا أدبان مهمان متعلقان بالعبادة:

الأول: الاقتفاء بلا غلو، فقد قال ﷺ: «**إياكم والغلو في الدين؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**». وفي القرآن الكريم: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ «المائدة».

ومن صور الغلو في الحج على سبيل المثال: رمي الجمارات بحصى كبيرة أو بأمور أخرى غير الحصى، أو غسلها قبل الرمي، وكذلك تتبع أماكن رسول الله ﷺ التي لم تكن على وجه من مثل العبادة كما كان يفعله ابن عمر رضي الله عنهما.

ومن الغلو العجيب: ما زعمه الغزالي في الإحياء من استحباب الوقوف بعرفه اليوم الثامن وادعى أنه الحزم.

والثاني: العمل بلا تقلل؛ أي: الإتيان بالعبادة بلا تقليل كمن يمر بمنى ويجلس قليلاً بلا مبيت ولو لنصف الليل، وكذلك من يمر بمزدلفة بسيارته ولا يبيت غالب الليل.

ونظيره من يمر بعرفة مرورا، ولا يجلس للصلاة والذكر والابتهال والدعاء، وإن كان حجه صحيحا، ولكن لماذا إنقاص العبادة، وحرمان النفس من الفضل.

وبعض هؤلاء المتقللين، ربما أناب شخصا مكانه أو سأل مـا حكم هذا المنسك؟ فإذا قيل له: يجبر بدم. استهان بما يدفعه من ماله ولم يبال بتمام الحج وبره، وتحصيل الثواب الباهر؛ وقد قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّه ﴾ «البقرة».

فهذان الأدبَان السابع عشر والثامن عشر:

تلين للإخوان والأصحاب وناسكًا من غيرها واصطحاب

الأدب التاسع عشر: الليونة مع الحجاج، لا سيما إخوانـك في الرحلة وأصحابك في السير، ترفق م ولا تجف ولا تغلظ؛ كما قال تعالى لرسوله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ «آل عمران/159».

والأدب العشرون: * **وناسكًا من غير ما اصطخاب** *

أي: انسك المناسك بلا صخب أو رفع صوت سوى تكـبير وتلبية، وإن كان الذكر المشروع، يرفع دون أذية للآخرين.

ومما يكره أيضا: رفع الصوت بكلمات ليس لهـا أصـل أو قولهم: «حج يا حاج» وما شابه ذلك.

ومن الطريف أن بعضهم يزاحم الناس ويؤذيهم ثم يقول: حج يا حاج. وآخر زحمه الناس وضغطوه فقيل: حج يا حاج. فقـال باللهجة المصرية: هو انتو خليتو فيها حج!! والله المستعان.

وصابرًا في غمرة الزحام وراميا من غير من إيلام

هنا أدبان رفيعان مهمان؛ وهما **الواحد والعشـرون:** وهـو الصبر على زحام الناس؛ فمن حكمة الله وفضله اجتمـاع النـاس وتزاحمهم في هذه الأماكن بطريقة لا شبيه لها. وقد قـد في قولـه تعـالى علـى لسـان إبـراهيم: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ «إبراهيم/37». قيل: لو قال أفئدة الناس، لازدحم عليه المسـلمون والترك والفرس/ فخص ولم يعم، ومع ذلك ترى الزحام المخيـف والكثرة الكاثرة التي تدل على صدق هذا الدين، وأنه ملاذ البشرية ومحل هداية الإنسان لو فكر وتأمل، فالآن يجتمع قرابـة الثلاثـة ملايين يقضون مناسكهم بتوفيق الله وتيسيره، ثم بجهود المخلصـين الذين يسهرون على خدمتهم والإحسان إليهم.

والمندوب للحاج أن يصبر على أذية الزحام، ولا يغضـب أو يتذمر أو يكافئ السوء بالسوء، بل يحتمل كما احتمل الصـالحون مثله.

فقد تلقى من يسبك أو يشمك، فعامله بتعليم الله لك: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾. أي: كلاما طيبا لينا.

والأدب الثاني والعشرون: * وراميًا من غيرها إيلام *

ويقصد الناظم شعيرة رمي الجمار، ولهذه الشعيرة آداب:

- رميها تسبح حصيات نحو حبة الحِمص أو الباقلاء.
- ترمى رميا معتدلاً، دون شدة أو تراخٍ.
- لا إيلام للناس أو للشاخص؛ لأنه ليس في الشاخص شيطان كما قد يعتقده من كثير من الجهلة، وإنما هو إحياء لما صنعه إبراهيم ﷺ وقد جاء في الحديث: «**إنما جعل الطواف بالبيت وبالصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله**».
- موضع الرمي مجتمع الحصى لا الشاخص أو ما سال منه.

فإنما الطواف والجمارُ كيما يقام الذكر والجوآرُ

أي: ما جعلت هذا الشعائر إلا لإقامة ذكر الله، يتحسس الحاج أنه يؤدي عبادة ذات معنى وليست أفعالاً بلا روح، أو حركات دون إضاءات، والله الموفق.

معظمًا لله بالتوحيد وطارح الشريك والنديدِ

وهذا هو الأدب الثالث والعشرون وهو أن الحج عنوان الوحدانية لله تعالى؛ لأنه يقصد ربا واحدا، له يسعى وله يصلي ويطوف، ومن أجله يحلق وينحر ويرمى، وهو يردد دائما: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر والله أكبر ولله الحمد. ويردد: لبيك اللهم لبيك.

فالحاج يعلن توحيده لله، الذي به يبرأ من كل دين أو صنم أو طاغوت أو نجم أو صورة، ويعلق رجاءه وخوفه بالله تعالى، قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ «غافر/14».

إذن فلا يصح حج من دعا غير الله من نبي أو ولي أو صالح أو ما شابه؛ لأن الله لم يعد قصدا لله، بل صار القصد لمخلوق لا يضير ولا ينفع، وقد أمر الله رسوله أن يقول: ﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلا رَشَدًا﴾ «الجن/21».

منكسرا في جَمْع أو عرفات وتائبا بالصدق والعبَراتِ

والأدب الرابع والعشرون: أن تكون هيئته حال الدعاء منكسرا لله، منطرحا بين يديه باكيا، يرجو فضله ويسأله محو ذنوبه.

وقال الناظم:

* في جَمع أو عرفات *

وهذان موضعان عظيمان من وقفات الدعاء الثابتة، وجمع هي مزدلفة؛ وسميت بذلك الاجتماع الناس فيها. وعرفات هو المكان المعروف الذي يجتمع فيه النساك اليوم التاسع، ووقفته أفضل وقفات الدعاء واللجوء إلى الله تعالى.

ثم قال:

* وتائبًا بالصدق والعبرات *

وذا أدب آخر: أن يكون من صفات الحاج إعلان التوبة لله تعالى في تلك المشاعر؛ لاتساع الرحمات وكثرة البركات وانكسار النفوس، ولذا كثيرا ما نسمع بتوبة إخوةٍ لنا في الحج؛ لعظمة ما يرون، ولخير ما يدركون: مغن يهجر الغناء، ومدخن يكف، ومرابٍ يقلع عن الربا خوفًا من بناء جسده وإنباته من الحرام، وهلم جرا.

والمخيمات الزاخرة بالدروس والمواعظ محل توبة كثيرين من الحجاج، نسأل الله من فضله ورحمته.

غيرَ مضيع لذا الزمان وقارئا للتعلم والقرآنِ

وهذا البيت احتوى على الأدبين السادس والعشرين والسابع والعشرين.

أما الأول: فهو ما قرره بقوله:

*** غير مضيع لذا الزمان ***

والمراد: حفظ الأوقات ومراعاة شرف الزمان. قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ «العصر/1، 2». وفي صحيح البخاري: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ**».

ومن آفات الحجاج في المناسك: إضاعة الأوقات، وقضاؤها في الضحك وأحاديث الناس، أو كثرة المنام والاستغفال.

ثم قال:

*** وقارئًا للعلم والقرآن ***

وذا هو الأدب الآخر، أن يحرص على اغتنام الزمان بالقراءة في القرآن وكتب العلم. ومن ذلك مطالعة كتب المناسك، ومن أحسنها: التحقيق والإيضاح لابن باز، والمنهج لابن عثيمين، وحجة النبي والمناسك للألبانى، رحم الله الجميع.

وكذلك يتردد على دورس المشايخ الفقهاء، الذين تزدان المشاعر بعلومهم ومعارفهم.

تأمر بالمعروف والمحاسن وناكرًا للسوء والمحَازن

ومن آداب الحاج المهمة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا هو الثامن والعشرون.

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ «آل عمران/110».

فحج مئات الآلاف من الناس وإيمانهم متفاوت، استقامتهم متباينة، وفيهم من يقصر ويسيء، فالواجب نصحه وتذكيره بالكلمة الرقيقة والأسلوب اللين.

قال ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**».

ترى حاجا يشتم ويسب، وآخر يستمع الغناء، وآخر يدخن، وما أكثرهم!! وآخر يؤذي الناس! فمن لهؤلاء إلا النصحة المشفقون والدعاة اللينون.

ومعنى: «**للسوء والمحازن**» أي: المنكرات السيئة التي تحزن أهلَ الإيمان رؤيتها.

ومرشدًا للنضال والجهال وناصحًا من غير ما إملالِ

في الحج يكثر الضوال والجهال، أحدهما يضل الطريق، والآخر يضل السنة والهدي، فالواجب نصحهما وإفاد م، لاسـيما مـن يعرف الأمكنة والمشاعر، ومن يفقه الأحكام والأدلـة. وذا هـو الأدب التاسع والعشرون

وأما الثلاثون: فالنصح بدون إملال ذكر بقصـد، وانصـح باعتدال، أو تحول الناس لئلا تملهم أو تضجرهم.

وهنا ننبه على أن بعض أصحاب المخيمات من حرصهم على الخير يكثرون الكلمات والمواعظ دون إجمام أو تـرويح، لدرجـة حرمان الحجاج من النوم والارتياح، وذا مسلك ليس بجيد، فليتنبه.

وتطعم الفقير والمسكينا وترحم المسن والمهينا

هذا البيت اشتمل على أدبين آخرين مهمين:

الأول: يستطيعه الموسر المقتـدر: وهـو إطعـام الفقـراء والمساكين.

والثاني: يفعله كل ناسك قذف الله في قلبه الرحمة: وهو رحمة المسنين والمهينين أي: الشيوخ الكبار والأشخاص الممتـهنين مـن يمتهنهم الناس لحرفهم أو لفقرهم أو لأحوالهم، وما أكثـر هـذان الصنفان في الحج، إذ المناسك تكتظ بفقراء بلا مأوى وبلا مطعـم

وتغص بكبار عجزة، وبأقوام ويحتقرهم الناس، فمن لهؤلاء إلا أصحاب الأيادي الندية، والقلوب الرقيقة، الذين يحتسبون فيهم الأجر والثواب. قال ﷺ: «**من لا يَرحم لا يُرحم**».

وروينا في الحديث المسلسل بالأولية: «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**».

وهذان هما الأدبان الواحد والثلاثون والثاني والثلاثون. ثم قال الناظم بعد ذلك:

تسير في تواضع كبير   وليس في تبختر مثير

وهنا نبه على أدب مهم يحمله المسلم على كل حال، وفي الحج تشتد الحاجة إليه؛ لأن الموضع موضع سكينة وأدب وليس عجلة وترفع، وهو خلق التواضع، فإذا مشى تواضع وعليه السكينة، ولا يمشى مِشية المتكبرين المتبخترين.

قال:

*** تسير في تواضع كبير ***

أي: التواضع مع هدوئه ولطافته، يعليك ويجعلك كبيرا إذا صدقت الله. وفي الحديث: «**وما تواضع عبد لله إلا رفعه الله**».

ثم قال:

* وليس في تبختر مثير *

لما كان اجتماع الناس باختلاف أجناسهم ومراتبهم مدعاة ليتعالى بعضهم، أو يتجبر آخرون، نبه على قبح السير بتبختر وتكبر؛ لأنه ليس من أخلاق الأنبياء ولا أتباعهم، قال الرحمن في وصفه لعباده: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾ «الفرقان/63».

ثم وصف ذلك التختر بأنه مثير، يلفت انتباه الناس لاسيما الفقراء والضعفة، وسبب إثارته تعود إلى غرابته واستنكار الناس له، ولأنه ليس على طبيعة الناس المعروفة، وغالبا من يبتلى به ذوو الولايات وأصحاب الثراء، والله المستعان. وهنا اكتمل الأدب الثالث والثلاثون.

مذللاً لله في المناسك وليس كالشريد والمُعارك

وهنا يبين الناظم ما ينبغي على الحاج أثناء تنقله بين المناسك وأدائه للطاعة؛ بأنه يكون متذللاً لله، خاضعا له أثناء سيره وعمله. قال:

* وليس كالشريد والمعارك *

أي: لا تسِر كسير الشريد الهارب من أناس، أو ذلك المعارك -بضم الميم- أي: المقاتل الذي يشد على خصمه راكضا وجسورا، وهذا هو الأدب الرابع والثلاثون.

تقوله ما يقوله الأمينُ ما جلَّ أو دقَّ وما يبينُ

أي: تحرص أخي الحاج على تتبع آثار رسول الله ﷺ القوليـة والأذكار التي كان يرددها في أماكنها، وهذا جزء من أدب سبق؛ وهو أخذ المناسك من رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام.

ثم قال:

*** ما جلَّ أو دقَّ وما يبين ***

أي: احرص على الأذكار والأقوال ما كبر أو صغر، وكل ما أبانه رسول الله نحو قوله عند الإحرام مكبرا ومسـبحا وحامـدا؛ ومنها قوله بين الركنين: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

ومنها: تكبيره عند رمي الجمار. وهذا هو الأدب الخـامس والثلاثون.

مجتنبًا أذية الأنام بالدفع والفحش وبالمنامِ

وهنا نبه الناظم على الأدب السادس والثلاثين؛ وهو النهي عن أذية الآخرين.

- **ومن ذلك:** أذية الناس بالدفع أثناء الاختلاط والزحام.

- وأذيتهم بالفحش وهو المنطق البذيء، وفي الحديث: «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش البذيء**».

- وأذيتهم بالمنام في طريقهم، وهذه بلوى ظاهرة يتجاسـر عليها من لا يعرف للطريق حقه ولا للمشاة حقوقهم.

- وأذيتهم بالافتراش في الطريق، سواء كان للراحة أو المنام، وذا لا يجوز.

- وأذيتهم بقضاء الحاجة في ممر طريقهم، وهذا فعل محـرم. قال ﷺ كما في صحيح مسلم: «**اتقوا اللاعينين، الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلهم**». وسماهما «**لاعنين**» لأنهما جالبان اللعن من الناس عليه، فالحذر الحذر.

- وأذيتهم بجعل الطريق مجلس تفكهٍ وانتعاش وخوض فيما لا ينفع وفي أمور ضررها أكبر من نفعها، وذلك أيضا لا يجـوز، والله المستعان.

وغُضَّ ذي العينين في الطريق ولا تكن كجالب الحريقِ

وهنا ذكر أدبا مهما يدل على صدق التدين وتمام استقامة الناسك؛ وهو غض البصر؛ فالحج فيه نساء ومردان، ويحصل التداني والاجتماع، وقد قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ «المؤمنون»، وقال: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾.

وذا هو الأدب السابع والثلاثون وهو شامل للجنسين، فإنه يحرم النظر لمواطن الشبهات.

وقال الناظم معللاً ذلك:

.... ولا تكن كجالب الحريقِ

من جاء للتمحيص والمبرور فعاد بالأوزار والشرورِ

أي أن النظرة المحرمة تحرق صاحبها، وتذهب صفوه وهو قد جاء لتمحيص الخطايا، وليحوز بر الحج. وللأسف باء بـالأوزار وبالشرور؛ لأن من عواقب النظرة المحرمة أنها ذريعة للفاحشة وتوهن الإيمان في القلب، وتورث محبة الصور، وتعكر صفو الطاعة والإقبال عليها. وقد صح في الحديث: «**النظرة سهم مسموم من سهام إبليس**». ولما سئل ﷺ عن نظر الفجأة قال: «**اصرف نظرك**». وقال ﷺ: «**لك الأولى وليست لك الأخرى**».

نعوذ بالله من الضياع للمال والجهد وللمتاعِ

لا ارتياب أن من أتى ليقلب نظره في المحرمـات أو قـارف سيئات قد أضاع نفسه، وأودعها مستودع التبـاب والضـياع، وحصلت له صور من الضياع:

- أضاع ماله الذي بذله في الحج.
- وأضاع جهده بفعل المناسك وهو ملطخ بالمعصية.
- وأضاع متاعه الذي تكلف به، ولكن لم تطب الحجة، ولم تحسن الرحلة والعياذ بالله.

ثم شرع الناظم في إيضاح الأدب الثامن والثلاثين وهو ما عناه بقوله:

وإنْ تبع فحاذر الحراما والغش والتدليس والإيهاما

نبه هنا على مسألة مهمة، وهي بيع الحاج وشراؤه في أثنـاء أداء المناسك هل يجوز؟

الصواب أنه يجوز بلا خلاف، وكان الصحابة قد تحرجوا من ذلك، فسألوا رسول الله، فأنزل الله تعـالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ «البقرة». أي: في مواسم الحج. كذا فسرها

مجاهد وابن جبير وعكرمة ومنصور بن المعتمر وقتـادة وإبـراهيم والربيع بن أنس وغيرهم.

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال: كانـت عكـاظ ومجنة وذو المجاز أسواقًا في الجاهلية، فتأثموا أن يتجروا في الموسم؛ فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ في مواسـم الحج[1].

فإذا ما جاز للحاج البيع وابتغاء فضـل الله، فليحـذر بيـع المحرمات أو التلبيس بصورة محرمة كالغش أو التـدليس أو إيهـام سلامة السلعة وهي تالفة، وما شابه ذلك.

وهنا الأدب التاسع والثلاثون:

تطيع للأمير والجليل وسائلاً للعالم النبيل

وهذا الأدب الأربعون وفحواه: وجوب طاعة أمير الحـج أو الرفقة، وعدم المشاقة والمخالفة في السير والكلام والصلاة وترتيب الأعمال.

---

(1) تفسير ابن كثر ص 323.

قال تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام: «**مـن أطـاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني**» أخرجاه عـن أبي هريرة.

أما أمير الحج والرفقة فيتعين طاعته والسماع له، وأما الجليل فيطاع لشرفه أو علمه كبر سنة.

ثم قال الناظم:

*** وسائلاً للعالم النبيل ***

وهذا هو الأدب الواحد والأربعون: أن السؤال والاسـتفهام مخصوص بالعالم المتفقه الكبير الذي نبل بعلمه ونبل بحسن فهمـه وحِذْقه، وليس كل من تكلم أو ارتدى شارة العلماء جاز له الفتيا وصدق أنه ضليع متقن، فقد قال أبو الحسن الفالي رحمه الله:

تصـدَّر للتـدريس كـل مهـوس ... جهـول تسـمى بالفقيـه المـدرِّسِ
فحـق لأهـل العلـم أن يتمثلـوا ... ببيت قديم شاع في كل مجلسِ
لقد هزلت حتى بدا مـن هزالها ... كلاها وحتـى سـامها كـل مفلسِ

وما أكثر المفاليس علما وفهما في هذا الزمان وقد تقلدوا مـا لا يسوغ لهم، والله المستعان.

ثم قال الناظم:

معتنيًا بصحة الأجسام في عالم يموج بالأنام

وهذا أدب صحي حضاري؛ إذ إن سلامة الحاج طريق لإتمامه مناسكه، وتنقله بارتياح. وفي ظل الزحمة الشديدة تكثـر أمـراض ضربات الشمس والإنفلونزا الحادة والأوبئة المختلفة؛ فيجب علـى الحاج التوقي باستعمال الحقن والعقاقير ومراجعة الأطباء، وتطبيـق وصايا وزارة الصحة والحج في هذا السياق لتسلم له صحته وتتم له حجته، وهذا هو الأدب الثاني والأربعون.

ومشهد الإحرام والعرفات مذكر بالموت والعرصات

وهنا ختم الناظم الآداب بأدب جليل؛ وهو تـذكر المـوت والآخرة؛ لأن في إكمال المناسك ما يذكر بذلك:

فأولاً تجرده من المخيط عند الإحرام، وفيه تشـبه بالميـت. وعشية عرفات وما فيها من مهابة وجلالة وتزاحم، تذكر بسـاعة القيامة.

فمثل هذه المشاهد كافية في التذكير باليوم الآخر الذي نعتـه الله بالأوصاف الشديدة في القرآن.

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ «البقـرة/281»، وقال: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ «آل عمران/9»، وقـال: ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ «القمر/7».

و ـذا السبب تكتمل الآداب إلى ثلاثة وأربعين أدبا.

ثم قال الناظم:

فهذه الآداب للحجيج فخذها بالتطابق البهيج

أي: وقد علمت الآداب والخصال التي يتعين علـى الحـاج حملها والتحلي ا، فخذها وتعلمها بالتطابق البهيج؛ أي: بالعمـل والتفاعل المبهج، الذي يدل على حفظها ووعيها ومحبتها ونشـرها في الناس، والله تعالى أعلم.

وحيث قد عرفت فالإسرعُ والجد والبلاغ والإقناع

نعم كل من علم خيرا عليه البدار والإسراع إليه جدا وعملاً وتطبيقًا، سواء كان أحكاما أو شمائلَ، وعليه كـذلك أن يبلغـه وينشره في الأصحاب والناس. ومتى ما وجد كسولاً أو معارضـا، حاوره وسلك معه مسلك الإقناع بالحجج الصـحيحة والمعـاني الرجيحة، ليعكس للناس صورة الإسلام المشرقة الحضارية الراقيـة التي تزهو بمحاسن الأخلاق وروائع الشمائل والآداب.

فهذه ثلاثة وأربعون أدبا نظمتها وعلقت عليها بما يوضـحها ويكشف أسرارها في أيام معدودات، تشبه التشريق عدا لا معنى، وتزيد عليها فضلاً وقدرا وشرفًا، وصلى الله عليه وسلم على نبينـا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كان الفراغ منه ليلة الجمعة الثاني من ذي الحجة 1425هـ.

كتبه

حمزة بن فايع الفتحي